البنيات التقابلية الدلالية في أدعية الامام الباقر عليه السلام واثرها في دلالة الدعاء

أ.م.د. أسيل سامي أمين

كلية الآداب / جامعة القادسية

الاميل : albydya338@gmail.com

الخلاصة:

لما كان الدعاء وسيلة خطابية بين العبد وربه كان يستلزم طرقا وأساليب محددة في اللغة يتوسل بها؛ من مثل :ظهور المترادفات اللفظية، وتكرار بعض الاساليب الانشائية ؛من مثل :الاستفهام ،والنداء ،والتمني ، وليظهر الانسان المناجي الحالة النفسية التي يمر بها يتوسل بالمتقابلات الدلالية في كلامه ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث الموسوم بـــ (البنيات التقابلية الدلالية في أدعية الامام الباقر عليه السلام واثرها في دلالة الدعاء) ؛ ليقف عند أهم البنيات التقابلية في أدعية الامام عليه السلام في الصحيفة الباقرية مبينًا أثر هذه البنيات في دلالة الدعاء وسياقه .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق اجمعين محمد الامين وعلى آله وصحبه الغر الميامين .

الدعاء بين العبد وخالقه موضوع يقتضي سبر عوالم مختلفة نفسية واجتماعية تتداخل فيها الامكنة والازمان ، وتنصهر الروح في مجرياتها ، ولا سبيل الى خوضها إلا عن طريق مكنونات اللغة فهي الوسيلة ، والرسالة المشفرة بينهما _ العبد والخالق _ وقد تتوسل هذه اللغة بأدوات مختلفة على صعيد المفردة والتركيب فنجد تواترات لألفاظ بعينها قد لا نجدها في غيره من الكلام متمثلة بأسلوب الترادف الجزئي أوالتماثل ــ أو بظهور أساليب بعينها من مثل النداء والاستفهام والرجاء والتمني بشكل مُلح يفرز لواعج النفس البشرية الداعية وآلامها ، ومن أدوات اللغة التي تظهر حاجة صاحب الدعاء واضطرابه النفسي بأزاء قوة الباري وعزته وقدرته هو التقابل الدلالي ، وبتنوع هذا التقابل بين اللغوي والسياقي ، وتعدد البنيات التي يأتي فيها قد تختلف الدلالة ومن هنا يقف هذا البحث الموسوم بـــ(البنيات التقابلية الدلالية في أدعية الامام الباقر عليه السلام واثرها

في دلالة الدعاء) ليستجلي هذه البنيات التقابلية في أدعية الصحيفة الباقرية واثرها في دلالة هذه الادعية ،وقد سبق هذه البنيات مدخل في معنى التقابل في اللغة والاصطلاح وتلتها خاتمة بأهم نتائج البحث وثبت بمصادر ومراجع البحث . وفي الختام إن أصبت فإنه توفيق من الله وإن أخطأت فهذا هو جهد مقل جاهل يسأل السداد ممن يقرأ هذا البحث. والحمد لله رب العالمين .

مدخل

معنى التقابل في اللغة والاصطلاح

التقابل اسم أخذ من أصل ثلاثي هو القاف والباء واللام وهو صحيح يدلَّ على مواجهة الشيء للشيء[١] ، ومعاني هذا الاصل متنوعة بين المواجهة والطاقة ، والمعارضة[٢] ويرى الجوهري (ت ٣٩٣ هـ) أن المقابلة والتقابل في اللغة واحد إذ يقول: ((المقابلة: المواجهة والتقابل مثله))[٣].

ومما تقدم نفهم ان معنى التقابل في اللغة هو المواجهة وهذه قد تتم بين شيئين يواجه الأول الثاني ويتقابل معه، سواء أكان هذا التقابل بطاقتين أم قوتين أم غير طاقتين وهو ما يحدث بين الأشياء. ويعني أيضاً ضم شيء إلى شيء آخر أي قابله.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن اللغويين في معجماتهم استعملوا مصطلحات للتعبير عن التقابل من مثل (ضدّ ، وخلاف ، ونقيض) وهم لم يفرقوا بين هذه المصطلحات في الاستعمال وتساوت معانيها عندهم فالخليل (ت١٧٥هـ) جعل مثلا ((السّواد : نقيض البياض))[٤] ، وهو ضدّ البياض عند غيره[٥] . وأمثال هذا كثير في المعجمات .

أما التقابل في الاصطلاح فقد تنبه عليه علماء اللغة والبلاغيون فها هو أبو علي الفارسي (ت٣٧٧هـ)يقول : ((ان المقابلة تطبيق لفظي؛ لأن الكلمة تقابل فيه أختها على ترتيب... ومثله بقول الشاعر:

تبكي وتضحك إن صَدَّت وإن وصلت فنحنُ في مأتمٍ منها وفي عُرْسِ

فابتدأ بالبكاء واتبعه بالضحك، وقابل البكاء بالصد والمأتم، والضحك بالوصل والعُرس على ترتيب من غير تقديم وتأخير))[٦] ثم فرقوا المقابلة عن الطباق إذ قال ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ):المقابلة: ((وأصلها ترتيب الكلام على ما يجب؛ فيعطى أوّل الكلام ما يليق به أولا ، و آخره ما يليق به آخراً، ويأتي في الموافق بما يوافقه، وفي المخالف بما يخالفُهُ. وأكثر ما تجيء المقابلة في الأضداد، فإذا جاوز الطِباقُ ضدَّين كان مقابلة...))[٧] ، وبعد فانه من الواضح أن المقابلة والتقابل مصطلح أعم من مصطلح الطباق والمطابقة فالطباق هو مقابلة ولكن ليس كل مقابلة طباقاً .

ويبقى أن نقول أن التقابل الذي يرد في السياقات المختلفة قد يتباين في المستوى بين التقابل اللغوي (المعجمي) وبين التقابل السياقي .أما التقابل اللغوي ــ او المعجمي فهو التقابل الذي

تكون فيها ((علاقات المتقابلين فيها اختيارية وهي تتمثل في استعمال لفظين اثنين متضادين بحكم الوضع اللغوي لا يشترك معهما في ذلك ثالث))[٨] والمقابلة السياقية وهي التي تكون ((علاقة المتقابلين فيها توزيعية فتقابل الشقين في هذا النوع ليس مرجعه إلى الوضع اللغوي وإنما))[٩]إلى الأسلوب وحده. فالشاعر أو الناثر((في إخراج المقابلة السياقية لا يخضع لضغط المعجم المشترك بقدر ما يستجيب، لملكته الخاصة في الخلق الفني))[١٠] .

والتقابل ظاهرة ملفتة للنظر في دعاء الامام الباقر عليه السلام في صحيفته وتتعدد بنايته ولكل بنية اثر في دلالة الدعاء ومن هذه البنيات التقابلية التي وردت في دعاء الامام :

البنية التقابلية الظاهرية

إن هذا البنية تمثلها الالفاظ الحاملة لمعان متضادة في الوضع ؛ لكن البنية التركيبة التي ترد فيها تنقل هذا التضاد الى مساحة التماثل بدخول عنصر لغوي يقلب دلالة اللفظ الى الضد ،أو يسلب دلالته المنافية ومثال ذلك ما جاء في أدعية الامام الباقر قوله (سبحانَ من هو باقٍ لا يفنى)[١١] ، فالبقاء ضد الفناء [١٢]؛لأنه ثبات الشيء على حاله [١٣] ، في حين أن الفناء يقتضي زوال الشيء ومن هنا حدث التقابل بينهما وبدخول حرف النفي " لا " على الفعل (يفنى) قلب المعنى التقابلي بين معنى هذا الفعل وهو الزوال وبين معنى اسم الفاعل " باق " وهو الثبات والديمومة لتتلاشى بؤرة التنافر الدلالي بينهما ليكون معنى الفعل مع " لا" معنى مؤكدا لما في اسم الفاعل من دلالة على البقاء ، ومثله ما جاء في قول الامام عليه السلام (اللهمّ إني أسألك بحبي إياك ، وبحبي رسولك ، وبحبّي أهل بيت رسولك صلواتك عليه وعليهم ، يا خيرا لي من أبي وأمّي ومن الناس أجمعين ، إقدِرْ لي خيرا من قُدرتي لنفسي ، وخيرا لي ممّا يقدّر لي أبي وأمي ــ أنت جواد لا يَبخلُ ، وحليمٌ لا يَعجلُ ، وعزيزٌ لا يُستذَلُّ .)[١٤] ــ فالجود وهو السخاء خلاف البخل[١٥] ، وقيل في البخل الذي هو ضد الكرم والجود :هو امساك المقتنيات عمّا لا يجوز حبسها عنه [١٦]، والحلم من حدوده " هُوَ الْإِمْهَال بِتَأْخِير الْعقَاب الْمُسْتَحق"[١٧] ، والعجلة هي " التقدم بالشئ قبل وقته – وهو مذموم ... والعجلة التقدم فيما لا ينبغي أن يتقدم فيه وهي مذمومة، ونقيضها محمود وهو الاناة"[١٨] ، فهما متقابلان سياقيا بلحاظ معنى التقدم والسرعة المذمومين في العجلة والتأخير والبطء المحمودين في الحلم ، أما الذل فهو نقيض العز [١٩]، في حين تعرف العزة في الانسان هي الحالة المانعة له من أن يغلب ، والعزيز الذي يقهر ولا يُقهَر[٢٠] ، فالتقابلات واضحة بين الصفات (جواد ، وحليم ، وعزيز) وبين الأفعال (يَبخلُ ، يَعجلُ ، ويُستذَلُّ) ، وغير خفية إلا أن دخول حرف النفي " لا " على الافعال أفاد سلب صفة البخل والعجلة والذلة مضاعفة من أن تقع على الذات الإلهية ، وتأكيد اتصافها بالجود والحلم والعزة .

ومنه قول الإمام الباقر عليه السلام في معرض توسله بالله (فقد ضَعُفت قوَّتي ، وقلَّت حيلتي ،وانقطع من خلقِكَ رجائي ،ولم يبقَ إلا رجاؤك وتوكّلي عليكَ، وقدرتك عليَّ ـ يارب ـإن ترحمني وتُعافني ، كقُدرتِكَ عليَّ إن تعذّبني وتَبْتَلِني)[٢١] ــ فالتقابل الحاد الظاهري هنا متحقق بين الفعل (ضعف) وبين الاسم (قوة) من جهة أن الضعف هو الضد اللغوي للقوة [٢٢] ، ومع هذا فقد اسند الضعف إلى القوة فما عاد للقوة وجود فهي استحالت الى ضعف ، ومن ثم لم يتبق له إلا التوسل بقدرة الخالق معززا هذا التوسل بالتقابلات السياقية المتحققة بين (ترحمني) و (تعافني) من جهة وبين (تعذبني) و (تبتلني) مع تسليط القدرة الإلهي على طرفي التقابل فكلاهما واقع ضمن قدرة الذات الإلهية على الذات البشرية وتساوي هذه القدرة فيهما معا كما لا يخفى ان هذا التقابل هنا هومن التقابل الحاد الثنائي محدثة هذه الثنائية فيه تراكما دلاليا هدفه التأكيد على القدرة الإلهي بمقابل الضعف البشري بتزامنه مع التقابل الظاهري في سياق واحد .

البنية التقابلية الحادة

وهي البنية التي تقوم على أساس التقابل الظاهر بين الالفاظ ومتعلقاتها حتى لا يبقى شك لإرادة غير التضاد ومن ذلك قوله عليه السلام (يا ذا الذي كان قبل كل شيء ، ثم خلقَ كل شيء ، ثم يبقى ، ويفنى كل شيء)[٢٣] ، فالتقابل هنا جاء ليؤكد صفة البقاء في الله وتوحده فيها فهو ثابت قبل كل شيء لم يخلق وخلق كل شيء ، ثم يبقى هو وكل ما أوجده وخلقه يكون مصيره الفناء فالتقابل هنا لم يتحقق بين اللفظين " يبقى " و" يفنى " فحسب ولكن بين اسناد الفعل الى الفاعل المفرد المتمثل بالضمير المستتر العائد على الذات الإلهية ، واسناد الفعل الثاني الى الجمع المتمثل في لفظ " كل " . ومنه ايضا قول الامام الباقر عليه السلام في أحد ادعيته (اللهُمّ فما كان من أمر هو أقرب من طاعتك ، وأبعد من معصيتكَ ، وأرضى لنفسِك ، وأقضى لحقِّكَ ، فيسّره لي ، ويسّرني له ــ وما كان غير ذلك فاصرفه عني واصرفني عنه ، فإنك لطيف لذلك وقادر عليه)[٢٤] ، فالتركيب هنا ارفد بمجموعة من المتقابلات الدلالية وهي (أقرب≠ أبعد) والقرب هو نقيض البعد [٢٥] و(طاعة ≠معصية) فالطوع نقيض الكَره[٢٦] ، والعصيان هو الخروج عن الطاعة[٢٧] اي انهما متخلفان[٢٨]، فالتقابل هنا بين المفردات هو تقابل لغوي بالوضع وقد افاد هذا التقابل في هذ النص معنى مكثفا يختزل دلالات عدة فما كان يقترب من طاعة العبد لربه فهو مرغوب فيه يقع ضمن طائلة الدعاء والتوسل للحصول عليه وتيسيره وفي الوقت نفسه لابد أن يكون هذا الأمر يبتعد بالعبد عن معصية الخالق

ويمكن أن نمثله في الشكل الآتي :

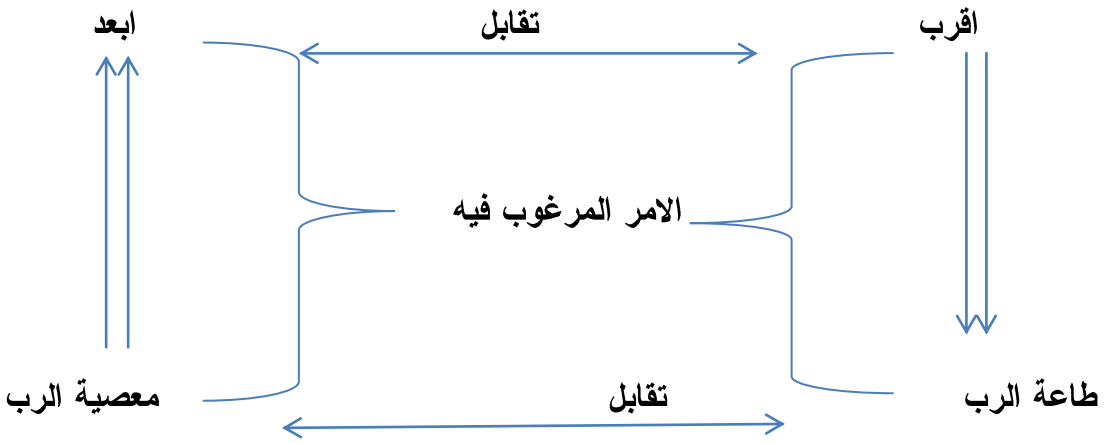

الشكل (١) يمثل البنية التقابلية الحادة

ومثل هذا التقابل ما نجده في قول الامام عليه السلام في دعائه لطلب العافية (اللهم صلي على محمد وآل محمد، واغفر لي وارحمني وزكِّ عملي ويَسَّرْ منقلبي واهدء قلبي ، وآمن خوفي ، وعافِني في عمري كلّه ...) ، فالتقابل الظاهري الحاد متحقق بين فعل الامر(آمِنْ) و الاسم (خوف) من جهة ان الأمن هو ضد الخوف ، إذ سُلِط فعل الأمن على لفظ (الخوف)كونه مفعولا به ولأن السياق هو سياق توسل ورجاء فما زال في طور عدم التحقق غير أنه مؤمل فيه متعلق الرجاء في تحققه لذا تبرز الضدية الحادة المتوترة بين اللفظتين .ومنه أيضا قول الإمام عليه السلام (اللهُمّ يا مالك المُلوك ، استخيرك فيما عَزَمَ رأيي عليه ، وقادني يا مولاي اليه ، فَسَهّل من ذلكَ ما توعّرَ ، ويَسِّر منه ما تعسَّر ،واكفني في استخارتي المُهِمَّ ، وارفع عني كلَّ مُلِمٍّ ، واجعل عاقبة أمري غُنما ــ ومحذورهُ سُلما، وبعدهُ قُربا ــ وجَدبهُ خَصبَا)[٢٩] ، فكل المتقابلات في البنية التركيبة هي تقابلات حادة ؛لأن السياق سياق رجاء وتوسل واستخارة للخير دون الشر من الأمر ؛إذ يبقى الانسان فيها متوجسا خيفة عدم تحقق مطلبه فهو بين الآمل الطامع وبين الخائف الوجل لذا تكاثفت المتقابلات فيه كثرة ،وتنوعا بين التقابل اللغوي كما في السهولة فهي :ضد الوعورة [٣٠] ، واليسر ضد العسر[٣١] ، والبعد ضد القرب [٣٢] ، والجدب هو نقيض الخصب [٣٣] والتقابل السياقي بين الحذر والسلم من جهة أن الحذر يكون فيما يخاف منه، أما السلم فيعني الامن ، واختلاف المتقابلات في البنية الصرفية بين الفعلية (سهّلْ ، وتوعرَ ، ويسّرْ ، وتعسّر) وبين الاسمية (بعد ، وقرب ، وخصب، وجدب ، ومحذور، وسلما) هو الذي زاد من حدة هذه التقابلات لما في الفعلية من تجدد وحدوث، وما في الإسمية من ثبات ولا يخفى ان المتقابلات الاسمية قد سلط عليها الفعل (اجعل) فأشربت معنى الامل الممزوج بالترقب والخوف من ان لا يتحقق ما هو مؤمل مطلوب ومسؤول ، وكذا الامر يقال مع

التقابلات التي تحققت بالفعلين (تعسرَ ، توعرَ) اذ سُلِط عليهما فعلا الأمر (سهلْ ، يسّرْ) فلا يختلف المعنى المتحصل منها عن الذي سبق .

ومنه أيضا قول الإمام الباقر عليه السلام في دعائه لطلب العافية والخلاص مما فيه (تجاوز عن سَيء ما عندي بحُسْنِ ما عندك)[٣٤]، فالتقابل هنا بين لفظي (سيء) و(حسن) هو تقابل سياقي من جهة أن الحُسن هو ضد القبح وخلافه [٣٥] ، والسيء هو القبيح وقد ساء ما فعل فلان اي قَبُحَ صنيعه [٣٦] ، فالسيء من الأعمال هو ما اتصف بالقبح وكان مكروها غير مستساغ على النقيض من الحسن فهو مرغوب فيه محبوب ومن هنا حدث التقابل الحاد بينهما فهما على طرفي نقيض لا يجتمعان وحسن ورودهما هنا للمفارقة البينة بينهما فالمسيء يتوسل ويتمسك بأحسن خصال المسؤول ويطالبه بغفران ما وقع من سيء أعماله بجميل إحسان رحمته وعفوه وحلمه وكل ما هو حسن جميل فيه .

البنية التقابلية الجمعية

وهذه البنية تقوم على رفد التركيب بمجموعة من المتقابلات اللفظية الدلالية من غير ارادة التقابل بينها لذاته ، ولكن لغاية أخرى هو الجمع والشمول في تحقيق المعنى المراد إيصاله ولا أقول إرادة المبالغة في المعنى ولكن تقصي الشمول فيه ومما جاء في كلام الامام الباقر عليه السلام على هذه الشاكلة من البنية التقابلية قوله (ويا ذا الذي ليس في السماوات العُلى ولا في الارضين السُفلى ولا فوقهنَّ ، ولا بينهنّ ، ولا تحتهنَّ إله يعبد غيرك) [٣٧] ، فالتقابل الظاهري تحقق هنا بين " السماوات " وبين " الارضين " من جهة العلو في السماء والتسفل في الأرض ولا سيما إذ عرفنا أن السماء هي " سقفُ كلِّ شَيْءٍ وكلِّ بيتٍ. ... السَّمَاءُ فِي اللُّغَةِ يُقَالُ لِكُلِّ مَا ارتَفع وعَلا قَدْ سَما يَسْمُو. وكلُّ سقفٍ فَهُوَ سَماءٌ، وَمِنْ هَذَا قِيلَ لِلسَّحَابِ السماءُ لأَنها عاليةٌ، والسَّمَاءُ: كلُّ ما عَلاكَ فأَظَلَّكَ؛ وَمِنْهُ قِيلَ لسَقْفِ الْبَيْتِ سَمَاءٌ."[٣٨] و"وَأَرْض الشَّيْء أَسْفَله"[٣٩]. فتقابلهما ليس لغويا ،أو تضادا معجميا، ولكنه تضاد سياقي بلحاظ العلو في السماء و التسفل في الأرض وهو ما لمحه الامام عليه السلام فخصهما كل بصفته ، ومع هذا فهو لم يرد التضاد والتقابل فيهما وإنما اراد الشمول لذا عطف بينهما بحرف الواو الجامع وليحقق هذه الغاية الدلالية في قوله أردفهما بما يعضد هذا المعنى الشمولي بـــ (فوقهن) ومقابله (تحتهنّ) فهما متناقضان[٤٠] ؛ ولأنه ما أراد المعنى التقابلي ؛ فرق بينهما بقوله (بينهن) ، فيكون بذكره كل هذه الجهات المتقابلة بعضها مع بعض والنقطة الجامعة بينها ؛ وهي البينية يكون ما ترك مكانا إلا وقد أدخله في إرادة الحكم الذي تعلق بهن وهو أن لا إله إلا الله فيهن ، فحقق الوحدانية له ونفى المشاركة له في هذه الصفة فيهن ، ويقترب من هذا المعنى أيضا قوله في التسبيح (سبحان الله مَلِكِ السماوات السبع والارضين السبع ومنَ فيهن وما

بينَهنّ)[٤١] ، فهو لأنه أراد معنى الشمولية في ملك الله لا التقابل بين السماوات والارض ؛ اختار صفة جامعة بينهن وهو العدد سبع ثم أعقبهما بعبارتي " منَ فيهن " و" ما بينَهنّ" ليدفع إرادة معنى ملكية السماوات والارضين فحسب دون ما فيهن أو ما بينهن إذ أفاد حرف الجر " في" معنى الاحتواء أو الظرفية بتآزره مع الظرف " بين" .

ومن هذه البنية أيضا قول الامام عليه السلام (احفظني قائما وقاعدا ، يقظانا وراقِدا)[٤٢] ، فالتقابل الجمعي تحقق بين (قائما) وبين (قاعدا) اولا ؛ لان القيام نقيض الجلوس ، والقعود نقيض الجلوس [٤٣] ، والفرق بين القعود والجلوس هو أن الجلوس الحركة من تسفل إلى علو أي كنت نائما فجلست ، أما القعود فهي الحركة من علو إلى تسفل أي كنت واقفا فقعدت [٤٤] ، وهذا يعني أن القيام هو الضد اللغوي للقعود ، والتقابل الجمعي الآخر الذي تحقق في قول الامام عليه السلام أعلاه هو بين (يقظانا) وبين (راقدا) فاليَقَظَةُ: نَقِيضُ النَّوْم[٤٥]، أما الرُّقاد فهو المستطاب من النوم[٤٦] فهو جنس من النوم ، فالتقابل هنا هو تقابل سياقي بلحاظ النوم في الراقد واليقظة والصحوة في يقظان ــ والمعنى العام الذي خرج إليه كلام الامام هنا هو شمولية الحفظ الإلهي له على كل حال من الأحوال التي تقتضيها الطبيعة البشرية قياما أو قعودا ، في حالة اليقظة أأو الرقود ويبدو لي أن الإمام عول على معنى الرقود هنا دون النوم لما في الرقود من معنى اللذة والاستطابة ، ناهيك عن أن الرقود يستعمل مع النوم ليلا ونهارا أي في القيلولة .[٤٧] ومنه أيضا قول الامام الباقر عليه السلام (اللهم اني اعوذ بك من الشر ، وانواع الفواحش كلها ، ظاهرها وباطنها وغفلاتها ،وجميع ما يريدني به الشيطان الرجيم ، وما يريدني به الشيطان العنيد ، مما احطتَ بعلمه ، وأنت القادر على صرفه عني)[٤٨] ــ فالتقابل حدث هنا بين لفظ (باطنها) وبين لفظ (ظاهرها) ، وهما متخالفان في الدلالة المعجمية فالباطن خلاف الظاهر، والعكس صحيح [٤٩] ، فالتقابل هنا غير مراد لذاته ولكن الذي اريد هو دلالة الشمول والجمع لأنواع الفواحش المختلفة ما ظهر منها وما خفي وكان كامنا في بواطن النفس البشرية؛ فهو تقابل أريد به تفصيل مجمل سابق ومجمل لاحق، أما المجمل السابق فقول الامام (انواع الفواحش كلها)، وأما المجمل اللاحق فهو قوله (جميع ما يريدني به الشيطان الرجيم ، وما يريدني به الشيطان العنيد)؛ لأن الشيطان لا يريد بالإنسان إلا الشر فيوسوس له بارتكاب المعاصي واجتراح الفواحش ، ثم أكد هذا القول بقوله (مما احطتَ بعلمه) والخطاب موجه إلى الذات الإلهي ليقع تحت غطاء احاطة العلم الإلهي الظاهر من الفواحش والباطن منها ، والارادة الشيطانة بأجمعها .

ومنه أيضا قوله عليه السلام (بارك لي في ولدي وأهلي ومالي، وما قدَّمتُ وما أخّرتُ ، وما أغفلتُ وما تعمدت ، وما توانيتُ وما أعلنتُ وما أسررتُ ، فاغفر لي ، يا أرحم الراحمين)[٥٠] ،

فإرادة المعنى الشمولي والجمع بين كل الأحوال وبين المتضادات منها هو المبتغى والتقابل هو الذي حقق ذلك عن طريق رصد التركيب بمجموعة وافرة من المتقابلات وهي (قدمت ≠ أخّرتُ) و(اغفلتُ ≠ تعمدتُ) و(اعلنتُ ≠ اسررتُ) مع لحاظ عدم تساوي هذه المتقابلات في درجة التقابل فالتقدم الضد اللغوي للتأخر[٥١] ، والغفلة فيها مقابلة سياقية وليست لغوية للتعمد وذلك لأن الغفلة معنى الترك والنسيان في حين أن التعمد فيه القصد [٥٢]والارادة والاقبال على الشيء ومن هنا حدث التقابل بينهما ، وإذا كانت الغفلة والتعمد تقفان عند طرفي العمل ولا يمكن أن تلتقيا فإن ثمة حالة وسطية تقع بينهما؛ وهو التواني إذ يأخذ من الغفلة شيئا من سماتها ومن التعمد شيئا آخر ؛ فيأخذ من الغفلة سمة الترك ، ومن التعمد سمة العلم والدراية بالشيء وهو الحد الفاصل بين الغفلة والتعمد لأنه تقصير في فعل الشيء[٥٣] . أما الإعلان فهو المجاهرة بالشيء وهو خلاف الإسرار [٥٤] ، والإسرار هو كتمان الشيء ومنه السرّ الذي تخفيه [٥٥] ، فتقابلهما من جهة الإخفاء الكتمان في الإسرار والاظهار والمجاهرة في الإعلان.وبذا يكون الإمام قلّب أعمال الانسان على كل وجه ولم يغفل شيئا منها وكلها تقع ضمن إطار طلب المغفرة ان كانت سيئة ،أو تحت معنى التقبل والمباركة إن كانت حسنة

البنية التقابلية المزدوجة المؤكدة

وهذه البنية تقوم على رفد الكلام بمتقابلات ثم يعود المتكلم لرفد كلامه بمتقابلات تعزز المتقابلات السابقة ومن ذلك قول الامام عليه السلام (اغفرْ لي ما لا يضرُّك ،وعافِني مما لا ينفعُك ، فإن شفائي لا يضرُك ، وعذابي لا ينفعك)[٥٦] فالجملة (فإن شفائي لا يضرُك) هي تعزيز لمعنى جملة (عافِني مما لا ينفعُك) ، أما جملة (وعذابي لا ينفعك) فهي تعزيز لمعنى (اغفرْ لي ما لا يضرُّك) فالبنية التقابلية في الجمل الاربعة قائمة على الالفاظ المتقابلة " يضر " وضده " ينفع " وهما متضادان معجميا [٥٧] ، هذا فضلا عن التقابل بين فعل الامر (اغفر) والاسم (عذاب)وهو تقابل سياقي بلحاظ معنى الالم والعذاب في (عذاب) والرحمة والمغفرة في (اغفر) ؛لأن الغفران من " الله هو أن يصون العبد من أن يمسّه العذاب"[٥٨] فالكلام هنا انبنى على اربعة جمل الاولى فيها مقابل لغوي للجملة الثانية والرابعة، والجملة الثالثة فيها مقابل لغوي للثانية والرابعة ويمكن ان يقال الامر نفسه مع الثانية والرابعة ، ولما كانت الجملتان الاولى والثانية جملتين مبنيتين اساسا على فعل الامر الذي يخرج إلى الالتماس (الدعاء) فما كان من الجملتين الثالثة والرابعة إلا أن تأتيا لتسويغ هذا الطلب الالتماسي مع حدوث خرق للتراتبية الكلامية فسوغ الامام الالتماس الثاني قبل الأول لقربه ،ثم ليعود فيسوغ الطلب الأول فتنغلق الدائرة بأكملها بسلسة من التقابلات إذا اخذنا بمقولة رد

اعجاز الكلام على صدوره لتتشكل لوحة مكونة دائرتين مغلقتين قد تتداخل اقطارهما احيانا وعلى الشكل الآتي :

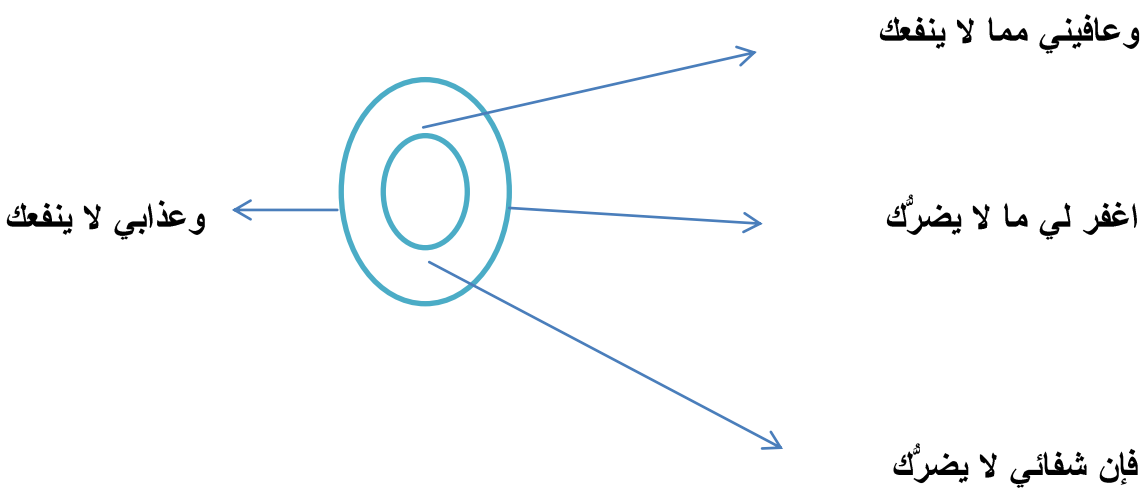

الشكل (٢) يمثل التأكيد للمعنى في بنية التقابل

البنية التقابلية المتفرعة

هذا النوع من البنية التقابلية هو الذي يقوم على تقابل داخلي يسير باتجاه واحد وضمن إطار جملة هذا التقابل يقدم مقابل خارجي لأحد طرفي التقابل الداخلي ، ومن ذلك قول الإمام الباقر عليه السلام (لا تشغل قلبي بدنياي وعاجل معاشي عن آجل ثواب آخرتي)[٥٩] ، فالمقابلان الداخليان هما (عاجل) و(آجل) فالعاجِلُ: نَقِيضُ الآجِلِ في كلِّ شَيْءٍ.[٦٠]، والمقابل الداخلي للمقابل الخارجي هو (آخرتي) ؛ أما مقابله الخارجي فهو (دنياي) والتقابل بينهما هو تقابل سياقي بلحاظ ان الآخر يقابل الاول ، والدنيا مأخوذة من الدنو وهو القرب ، وهذا يعني أن تقابلهما تحقق من جهة القرب في الدنيا والتقدم و السبق ، و البعد والتأخر في الآخرة ، والمعنى المتحقق منه أنه لا تجعلني أتشاغل بأمور دنياي فتعلق قلبي بها دون أمر آخرتي ، وكان للتقابل أن يكون على الشكل (لا تشغل قلبي بعاجل معاش دنياي عن آجل ثواب أخرتي) فيكون التقابل من بنية تقابلية حادة مزدوجة وعلى الشكل الآتي :

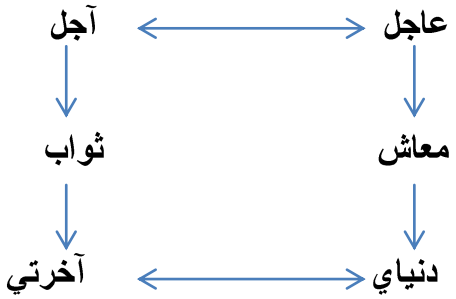

شكل (٣) يمثل البنية الافتراضية الحادة المزدوجة

ولكن التقابل في دعاء الإمام جاء على الصورة الآتية :

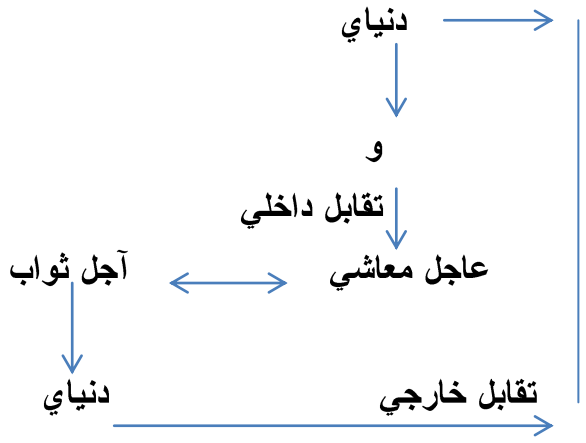

الشكل (٤) يمثل البنية التقابلية المتفرعة

والفرق بين البنيتين أن البنية التقابلية المتفرعة أفادت معنى التأكيد في النهي الالتماسي عن الانشغال بالدنيا وكل ما يتعلق بها من بهجة ومسرات ومغريات قد تخرج عن مقتضيات حاجة انصراف الإنسان الملحة ولا سيما في طلب المعاش والتشاغل به عن طلب ثواب الاخرة ، في حين أن البنية الافتراضية لا توافر هذا التأكيد لأنها تختصر هذه الانشغالات بشيء واحد تجعله يقف أزاء طلب الآخرة .

الخاتمة :

خرجت من بحثي هذا بمجموعة من النتائج من أهمها :

١-تنوعت التقابلات في ادعية الامام الباقر عليه السلام بين التقابل اللغوي (المعجمي) والتقابل السياقي.

٢- يلحاظ على النماذج الواردة في البحث غلبة التقابل اللغوي على التقابل السياقي .

٣-تعددت البنيات التقابلية في أدعية الامام الباقر عليه السلام بين البنية الحادة ــ والبنية التقابلية الظاهرية والبنية التقابلية الجمعية ، والبنية التقابلية المتفرعة .

٤-كانت الدلالة مع البنية التقابلية الجمعية تتمحور حول الشمول والجمع واستنفار المتقابلات لخلق هذه الدلالة في الدعاء .

٥-كان التركيب النحوي له الاثر في خلق البنية التقابلية الظاهرية إذ تعتمد هذه البنية على مكون تركيبي نحوي في قلب دلالة التقابل إلى التماثل ومن ذلك إسهام حرف النفي (لا) في سلب دلالة أحد طرفي التقابل ليعزز دلالة الطرف الآخر ويؤكده .

٦-البنية التقابلية الحادة ظهرت في الغالب مع سياق التوسل والرجاء والطلب المشفوع بالالتماس الذي يمتزج فيه الخوف من عدم تحقق المطلوب مع الأمل في تحقيقه والاستجابة إليه .

المصادر والمراجع :

- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) ،المحقق: مجموعة من المحققين
  الناشر: دار الهداية.
- تاج اللغة وصحاح العربية ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) ،تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، ط٤،الناشر: دار العلم للملايين – بيروت ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) ،المحقق: محمد عوض مرعب ، ط١ ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت
  ٢٠٠١م .
- جمهرة اللغة ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ) ،المحقق: رمزي منير بعلبكي ،ط١،الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، ١٩٨٧م .
- خصائص الأسلوب في الشوقيات ، محمد الهادي الطرابلسي ، المطبعة الرسمالية، تونس ، (١٩٨١م) .
- معجم ديوان الأدب ،: أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (المتوفى: ٣٥٠هـ) ،تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر ،مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس ،طبعة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة ،عام النشر: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .
- الصحيفة الباقرية والصادقية الجامعة لادعية الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام ، والامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ،تألف السيد محمد باقر السيد مرتضى ، وتحقيق مؤسسة الامام المهدي عليه السلام قم المقدسة ،ط١ ، الناشر جامعة الامام الصادق عليه السلام بطهران ، مطبعة الاعتماد ، (١٤٢٣هـ) .
- ــ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ) ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ،ط٤، دار الجيل ، بيروت ــ لبنان ، (١٩٧٢م) .

- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) ،المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
- الفروق اللغوية ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) ،حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم ، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.
- معجم الفروق اللغوية ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) ،المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، ط١ ،الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم» ، ١٤١٢هـ
- القاموس المحيط ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) ،تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ،بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط٨،الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- لسان العرب محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت ،الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ .
- مجمل اللغة لابن فارس ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) ،دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان ،ط٢ ، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت) ،- ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ج ٦ ، علي بن إسماعيل بن سيده (ت ٤٥٨هـ) ، تح : د. مراد كامل وآخرين،ط١، معهد المخطوطات لجامعة الدول العربية ، (د.م) ، (١٩٧٢م) .
- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ،(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) ،الناشر: دار الدعوة .
- المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) ،المحقق: صفوان عدنان الداودي ،الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت ،الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ .
- معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) ،المحقق: عبد السلام محمد هارون ،الناشر: دار الفكر ،عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م..
- ـ مواد البيان ، علي بن خلف الكاتب ، تح : حسين عبد اللطيف ، جامعة الفاتـــــح ، طرابلس ، (١٩٨٢م) .

هوامش البحث

١ – ينظر: معجم مقاييس اللغة / احمد بن فارس: ٥/٥١ ، (قبل).

٢ – ينظر : العين/ الخليل بن احمد الفراهيدي : ٥/١٦٦ ، (قبل) ، والمحكم والمحيط الأعظم في اللغة/ ابن سيدة: ٦/٢٦٢.

٣ – تاج اللغة وصحاح العربية/ الجوهري :٥ /١٧٩٧ ، (قبل) .
٤ – العين : ٧/ ٢٨١ ، (سود) .
٥ – ينظر : لسان العرب/ ابن منظور : ٧/ ١٢٢ ، (بيض) .
٦ – مواد البيان/ علي بن خالف الكاتب: ٦٧٩
٧ – العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده / ابن رشيق القيرواني: ١٥/٢.
٨ – خصائص الأسلوب في الشوقيات/ محمد الهادي الطرابلسي: ٩٨.
٩ – المصدر نفسه : ١٠٢.
١٠ – المصدر نفسه : ١٠٢ .
١١ – الصحيفة الباقرية والصادقية : ١٧.
١٢ – ينظر : لسان العرب : ١٤/ ٧٩، (بقي) ، و١٦٤/١٥(فني)
١٣ – ينظر المفردات في غريب القرآن / الراغب الاصفهاني :١٣٨، (بقي) ، و
١٤ – الصحيفة الباقريو والصادقية : ٢٥ .
١٥ – ينظر : مجمل اللغة/ احمد ابن فارس : ١/ ٢٠٢(جود)
١٦ – ينظر : المفردات في غريب القرآن : ١٠٩ ، (بخل) ، وتاج العروس/ الزبيدي : ٢٨/ ٦٣ ، (بخل)
١٧ – الفروق اللغوية / ابو هلال العسكري : ٢٠٠.
١٨ – ينظر : معجم الفروق اللغوية (الفروق بترتيب وزيادة : ٢٧٦.
١٩ – ينظر : لسان العرب : ١١/ ٢٥٦، (ذل)
٢٠ – ينظر : المفردات في غريب القرآن : ٥٦٣
٢١ – الصحيفة الباقرية والصادقية: ٢٦.
٢٢ – ينظر : القاموس المحيط :/ الفيروز آبادي ٩٢٩، (ضعف)
٢٣ – الصحيفة الباقرية والصادقية :١٩ .
٢٤ – المصدر نفسه : ٢٧ .
٢٥ – ينظر : لسان العرب : ١/ ٦٦٢ ، (قرب) ، ٣/ ٨٩، (بعد)
٢٦ – ينظر : المصدر نفسه : ٨/ ٢٤٠ ، (طوع)
٢٧ – ينظر : المفردات في غريب القرآن : ٥٧٠ ، (عصا)
٢٨ ينظر : لسان العرب : ١٥/ ٦٧، (عصي)
٢٩ – الصحيفة الباقرية والصادقية : ٢٨.
٣٠ – ينظر : لسان العرب ١١/ ٣٤٩ ، (سهل) ، ٢٨٥/٥، (وعر)
٣١ – ينظر : المصدر نفسه : ٥/ ٢٩٥ ، (يسر)
٣٢ – ينظر :المصدر نفسه : ١/ ٦٦٦٢، (قرب)
٣٣ – ينظر : المصدر نفسه : ٢٥٤/١، (جدب)
٣٤ – الصحيفة الباقرية والصادقية : ٢٦

٣٥ – ينظر : لسان العرب : ١٣ / ١١٤، (حسن)

٣٦ – ينظر : تاج العروس : ١/ ٢٧٦_ ٢٧٧ ، (سوء)

٣٧ – الصحيفة الباقرية والصادقية :١٩

٣٨ لسان العرب : ١٤/ ٣٩٧–٣٩٨ ، (سمو)

٣٩ – ينظر المعجم الوسيط / مجموعة من المؤلفين : ١٤

٤٠ – ينظر : تاج اللغة وصحاح العربية : ١٥٤٦/٤، (فوق) ، والقاموس المحيط : ١٤٨ ، (تحت)

٤١ – الصحيفة الباقرية والصادقية : ١٧ .

٤٢ –المصدر نفسه :٢١

٤٣ – ينظر لسان العرب : ٤٩٦/١٢، (قوم) ، و٣٥٧/٣، (قعد)

٤٤ – ينظر : معجم الفروق اللغوية بترتيب وزيادة : ١٦٤.

٤٥ – ينظر : تاج العروس ٢٩٢/٢٠، (يقظ)

٤٦ – ينظر :المفردات في غريب القرآن : ٣٦٢، (رقد،)

٤٧ – ينظر : لسان العرب : ٣/ ١٨٣ ، (رقد)

٤٨ – الصحيفة الباقيية والصادقية : ٢٤

٤٩ ينظر :معجم ديوان الادب/ الفارابي : ٣٦١/١ ، ٣٤٩/١، ولسان العرب: ٥٢٠/٤، (ظهر)، ١٣/ ٥٢، (بطن)

٥٠ – الصحيفة الباقرية والصادقية : ٢٥.

٥١ – ينظر : معجم ديوان الادب : ٤/ ٢٤٠ .

٥٢ – ينظر : لسان العرب : ١١/ ٤٩٧ ، (غفل) ، و ٣/ ٣٠٢، (عمد)

٥٣ – ينظر معجم ديوان الادب : ٣/ ٢٨٩ .

٥٤ ينظر : لسان العرب : ٢٨٨/١٣– ٢٨٩، (علن)

٥٥ – ينظر المصدر نفسه : ٤/ ٣٥٦–٣٥٧، (سرر)

٥٦ – الصحيفة الباقرية والصادقية :٢٠

٥٧ – ينظر العين : ١٥٨/٢، (نفع)

٥٨ – المفردات في غريب القرآن ٦٠٩، (غفر) .

٥٩ – الصحيفة الباقرية والصادقية : ٢٣.

٦٠ – ينظر جمهرة اللغة / ابن دريد : ١/ ١٠٤ (عجل) ١٠٤٣/٢، (اجل) ، وتهذيب اللغة/ الازهري : ١/ ٢٣٨، (عجل) ، والقاموس المحيط: ١٠٢٩، (عجل)

Summary

Du'aa (prayer), as a communication means between an individual and his/her God, usually requires using certain linguistic methods and techniques such as verbal synonyms, question, vocative, wish, and so forth. A suppliant person, for instance, in order to show his psychological state that passes in commonly employs oppositional semantic during his/her Du'aa. Hence, this has triggered the idea of this research which is entitled "The Oppositional Semantic Structures in Duas Imam al-Baqir and their effects on the Du'aa's Meaning". The research aims to study the importance of the oppositional structures of Imam al-Baqir's Duas that are written in the "Al-Sahifah Al-Baqiryah" book, along with explaining the effect of these structures on the semantics and context of Du'aa